المحو الثالث:الديانات السماوية

المحاضرة السادسة

الفصل الأول :اليهودية

1- التعريف بالديانة اليهودية:

لغة:

الهَوْدُ: التَّوْبَةُ، والرُّجوعُ إلى الحَقِّ

وهَوَّدَهُ: حَوَّلَهُ إلى مِلَّةِ يهودَ.

والهَوادَةُ: اللِّينُ، وما يُرْجَى به الصَّلاحُ، والرُّخْصَةُ.

والتَّهْويدُ: تجاوُبُ الجِنِّ، والتَّرْجيعُ بالصَّوْتِ في لينٍ، والتَّطْريبُ، والإِلْهاءُ، والمِشْيُ الرُّوَيْدُ، وإِسْكارُ الشَّرابِ، والصَّوْتُ الضَّعيفُ اللَّيِّنُ،

كالتَّهْوادِ، والإِبْطاء في السَّيْرِ، والسُّكونُ في المَنْطِقِ،

كالتَّهَوُّدِ والتَّهْوادِ.

والمهاوَدَةُ: المواعَدَةُ، والمصالَحَةُ، والمِمايَلَةُ، والمعاوَدَةُ.

وتَهَوَّدَ: صارَ يهودِيًّا، وتَوَصَّلَ بِرَحِمٍ أو حُرْمَةٍ.

وهَوَّدَ تَهْويداً: أَكَلَ السَّنامَ.

ويَهودَا: أَخُو يوسُفَ الصِّدِّيق، عليهما السلام. [1]

1- مجد الدين أبو طاهر مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادى، القاموس المحيط/مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة/مُحَمَّد نعيم العرقسُوسي/مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان/الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م/الجزء 1/ص329

اصطلاحا :

اليهودية:

جاء تعريفها في دائرة المعارف الكتابية: هي الجزء الجنوبي من الولاية الرومانية في فلسطين، كانت منطقة صغيرة، فمع ضم كل السهل الساحلي والصحراء لا تبلغ مساحتها أكثر من ألفي ميل مربع. يحدها نهر الأردن من الشرق، وفي غربه الصحراء البرية، ثم المرتفعات ثم التلال المنخفضة، ثم السهل الساحلي على ساحل البحر المتوسط،، ويحدها من الشمال السامرة، ومن الجنوب الصحراء.

يقول سميث أنّ في اليهودية ثلاث معالم جغرافية ذات أهمية كبيرة: طبيعتها الرعوية، مجاورتها للصحراء، عدم ملائمتها لقيام مدينة كبيرة.

وولد في صحراءها اثنان من الأنبياء: عاموس وإرميا. وهي البرية التي هرب إليها داود من شاول. وفيها عاش يوحنا المعمدان، وفيها واجه الرب يسوع تجربة إبليس له.[1]

فاليهود هم الذين يزعمون أنهم أتباع موسى عليه السلام.

وقد وردت تسميتهم في القرآن الكريم بقوم موسى، وبني إسرائيل نسبة إلى يعقوب عليه السلام، وكذلك أهل الكتاب، واليهود.

إلاَّ أن الملاحظ أن هذه التسمية الأخيرة – اليهود – لم يذكروا بها إلاّ في مواطن الذم[2].

1- دائرة المعارف الكتابية،وليم وهبه بباوي،دار الثقافة،القاهرة،م8،ص311.

2 سعود بن عبد العزيز الخلف. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية/ مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية/ الطبعة: الرابعة، 1425هـ/2004م/الجزء 1/ص45-46

2- التسميات التاريخية لليهود

العبري: صارت كلمة عبري مرادفة لابن الصحراء أو البادية بوجه عام. لذلك فإن نعت إبراهيم الخليل (عليه السلام)بالعبراني، كما ورد في التوراة، إنما أريد به معنى العبريين "العبيرو" وهم القبائل العربية ومنها القبائل الآرامية العربية التي ينتمي إليها إبراهيم الخليل (عليه السلام)نفسه.[1]

بنو إسرائيل: وإسرائيل هو يعقوب حفيد إبراهيم الخليل وأطلق لفظ بني إسرائيل على أولاد يعقوب وقد عاشوا في القرن السابع عشر قبل الميلاد واستمرت هذه التسمية لمدة ألف وأربعمائة سنة، ولغتهم هي الآرامية، وهي نفس اللغة التي يتكلم بها الكنعانيون والعموريون في فلسطين واندمج بنو إسرائيل بالمصريين بعد هجرة يعقوب وأولاده إلى مصر لينضموا إلى يوسف فاختفى ذكرهم ولم يظهر لهم أثر تاريخي قبل ظهور موسى.

تعرف اليهودية على أنها إحدى الديانات السماوية، واليهودية اسم يطلق على ديانة بني إسرائيل وقد نزلت هذه الديانة على النبي موسى عليه السلام.

وساهمت أجيال عديدة في تطوير وتكوين فكر وشريعة وطقوس هذه الديانة، إذ يتدخل الدين في كل صغيرة وكبيرة من شئون حياة الفرد اليهودي ويحدد مساره في حياته العامة والخاصة ويوضح له طريق معاملاته مع أبناء ديانته ومع غيرهم.

إن اليهودية " Judaism " كمصطلح في المفهوم اليهودي يشير إلى عقيدتهم ويعبر عنه بكلمة "توراة"، وتشير الدراسات التاريخية أن هذا المصطلح "اليهودية" قد ظهر أثناء العصر الهيليني للإشارة إلى ممارسات اليهود الدينية لتمييزها عن عبادات جيرانهم.

1. سعدون محمود السموك، مقارنة الأديان، دار وائل، الأردن، الطبعة الأولى، ص45

ويرجع المؤرخون سك هذا المصطلح إلى المؤرخ اليهودي يوسيفوس فلافيوس ليشير إلى العقيدة التي يتبعها أولئك الذين يعيشون في مقاطعة يهودا مقابل " الهيلينية " أي عقيدة أهل هيلاسHellas وهكذا بدأ المصطلحان كتسمية للمقيمين في منطقة جغرافية ثم أصبحا يشيران إلى عقيدتهم، وأما الأصل العبري لكلمة "يهدوت "، فيعود إلى العصور الوسطى.[1]

ومع مرور الزمن أصبحت كلمتا "يهودية" و" توراة " كلمتين مترادفتين، ولكن ثمة اختلافات دقيقة بينهما، فمصطلح " اليهودية " يؤكد الجانب البشري، بينما يؤكد مصطلح " التوراة " الجانب الإلهي. ولذا، يمكن الحديث عن "اليهودية العلمانية" بينما يصعب الحديث عن " التوراة العلمانية ".

وأصبح المصطلح الشائع اليوم في العالم الغربي هو " اليهودية "، أما مصطلح " توراة " فقد اختفى تقريباً إلا بين المتخصصين والأرثوذكس.

وتشير كلمة " التوراة " إلى الجوانب الثابتة اللادنيوية في الديانة، ويُستخدَم مصطلح " يهودية " للإشارة إلى الجوانب التاريخية المتغيّرة وإلى تفاعُل اليهودية مع الحضارات الأخرى.

ومن هنا، يمكن الحديث عن " اليهودية الحاخامية " و" اليهودية الهيلينية "، ولا يمكن الحديث عن "التوراة الحاخامية " مثلاً، ويرى دارسو اليهودية أن إطلاق مصطلح " يهودية " على تلك المرحلة من تاريخ اليهودية التي تسبق تدوين العهد القديم يتضمن تناقضاً تاريخياً، فهي مرحلة سديمية لم تكن قد تشكلت فيها بعد معالم اليهودية، ولم يكن العبرانيون فيها قد صاروا يهوداً، ولذلك يطلق على تلك المرحلة " مرحلة عبادة إسرائيل، ثم " العبادة القربانية المركزية " بعد تأسيس الهيكل.

وتُشير أدبيات جماعة الناطوري كارتا إلى " يهودية التوراة" (Torah Judaism) بمعنى

" اليهودية الأصلية " أو " اليهودية الأرثوذكسية "، وهم يفضلون استخدام مصطلحهم لأنه قد ولِّد من داخل المنظومة اليهودية، على عكس كلمة " أرثوذكسية " ذات النكهة المسيحية.[2]

1 – عبد الوهاب المسيري ، الموسوعة اليهود و اليهودية الصهيونية، دار الشروق. 1999 مج 5 ص 469

2– عبد الوهابي المسيري المرجع السابق. مج 5 ص 471

وقد أطلقت تسمية اليهود على بقايا جماعة يهوذا الذين رحلهم نبوخذ نصر إلى بابل في القرن سادس قبل الميلاد نسبة إلى مملكة يهوذا المنقرضة. وقد اقتبس هؤلاء، قبيل الترحيل البابلي لهجتهم العبرية المقتبسة من الآرامية وبها دونوا التوراة، أي بعد زمن موسى بثلاثمائة عام، لذلك صارت تعرف هذه اللهجة بآرامية التوراة وهي بلا شك غير الشريعة التي نزلت على موسى. [1]

3- تأسيس اليهودية:

أولا: هجرة إبراهيم إلى مصر.

يذكر التناخ أنّ أبرام لما كان في كنعان حلّ القحط والجفاف فيها، فانحدر إلى مصر، كما جاء في سفر التكوين: "حَدَثَ جُوعٌ فِي الأَرْضِ، فَانْحَدَرَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ هُنَاكَ، لأَنَّ الْجُوعَ فِي الأَرْضِ كَانَ شَدِيدًا"[2].

ويذكر فتحي مُحَمَّد الزغبي في كتابه "تأثر اليهودية بالأديان الوثنية" أنّ هجرة أبرام إلى مصر كانت في القرن ال 19 ق.م[3].

ذهب أحمد سوسة إلى القول بهجرة إبراهيم إلى مصر وادي النيل تحديدا واستند في قوله هذا إلى أنّ مصر كانت قلب الاستقرار السياسي الرخاء خاصة في النيل في عهد الفرعون سنوسرت الثاني 1897_1877 ق.م، وسنوسرت الثالث 1872_1843 ق.م، وكانت كنعان حلقة الوصل بين مصر وباقي الأقطار لذا من الطبيعي أن يهاجر إليها إبراهيم[4].

1. المرجع نفسه ،ص46،

2- تكوين،12: 10.

3- تأثر اليهودية بالأديان الوثنية،فتحي مُحَمَّد الزغبي،دار البشير،ط1414،1هـ-1994م،طنطا،مصر،ص161.

4- العرب واليهود في التاريخ،أحمد سوسة،العربي للنشر والطباعة،ط2،ص265.

ويورد المسيري في موسوعته أنّ إبراهيم دخل مصر في عهد الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة (في القرنين ال 16 وال 15 ق.م، أي في عصر الهكسوس).[1]

ولا يوجد ذكر في القرآن لهجرة إبراهيم إلى مصر.

ثانيا: هجرة يعقوب وأبناءه إلى مصر.

أولا: يوسف عليه السلام:

تواجد بنو إسرائيل في مصر في زمن يعقوب له مقدمة سابقة يرويها سفر التكوين من الإصحاح 37 إلى الإصحاح 50 وهي موافقة لما يذكره القرآن بشكل كبير، وهي قصة كيد إخوته له بسبب أحلامه التي قصها على أبيه أمامهم، مما جعلهم يكيدون له فباعوه لقافلة الإسماعيليين الذين بدورهم باعوه لفوطيفار في مصر[2].

لما انتهت سنة الخير وجاءت سنة القحط والجوع في كنعان جاء يعقوب وبنيه إلى مصر حيث يوجد يوسف، وعرفوه وظلوا له منكرين لكن في النهاية استقروا في مصر في رخاء كبير، وتكاثروا خلال أكثر من قرنين من الزمان[3]. إلى أن قام ملك جديد لا يعرف يوسف فأذلهم كما جاء في سفر الخروج: " ثُمَّ قَامَ مَلِكٌ جَدِيدٌ عَلَى مِصْرَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يُوسُفَ. فَقَالَ لِشَعْبِهِ: "هُوَذَا بَنُو إِسْرَائِيلَ شَعْبٌ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنَّا.هَلُمَّ نَحْتَالُ لَهُمْ لِئَلاَّ يَنْمُوا، فَيَكُونَ إِذَا حَدَثَتْ حَرْبٌ أَنَّهُمْ يَنْضَمُّونَ إِلَى أَعْدَائِنَا وَيُحَارِبُونَنَا وَيَصْعَدُونَ مِنَ الأَرْضِ"[4].

ثالثا: هجرة يعقوب وبنيه إلى مصر:

1- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،عبد الوهاب المسيري، ج10،ص349.

2- ذكرت هذه القصة في مصادر كثيرة منها: تاريخ شعب العهد القديم للأب ديلي.سفر التاريخ اليهودي لرجا عبد الحميد عرابي.مدخل إلى تاريخ اليهودية وتعاليمها لعيسى دياب. وغيرهم.

3- سفر التاريخ اليهودي،رجا عبد الحميد عرّابي،الأوائل،ط2004،1م،ط2006،2م،دمشق،سورية،ص92.

4- خروج:1: 8.

والذي يهمنا في بحثنا هو تاريخ دخول يعقوب وبنيه إلى مصر، وبالتالي المدة التي قضوها في مصر، وهذا فيه صعوبة نوعا ما ذلك لأن الأسفار لم تذكر ذلك ولا يوجد في الآثار المصرية أدنى ذكر لدخول اليهود،

مصر وخروجهم منها[1]. وكذلك المكان الذي تواجدوا فيه في مصر.

ذهب رجا عبد الحميد في كتابه "سفر التاريخ اليهودي" إلا أنّ هجرة يعقوب إلى مصر كانت حوالي 1600 ق.م.

وذُكر في قصة الحضارة لويل ديورانت أنهم دخلوا مصر في أثر الهكسوس الذين أتاحوا لهم بعض الحماية، وذلك عام 1650 ق.م[2].

ويذكر موريس بوكاي في كتابه "القرآن الكريم والإنجيل والتوراة والعلم" أنهم دخلوا مصر في عهد الهكسوس في القرن ال 17 ق.م[3].

ويقول في غير موضع: "يكون الدخول قد حدث فيما بين 1850_1880 ق.م"[4].

رابعا: خروج بني إسرائيل من مصر في عهد موسى.

يفيد التاريخ اليهودي أنّ بنو إسرائيل نموا وتوالدوا بأعداد هائلة في مصر بعد موت يوسف، مما أقلق المصريين لأنهم رأوا في ذلك تهديدا لمملكتهم، فحوّلوا العبرانيين من مواطنين أحرار إلى عبيد، وأمر فرعون القابلات اللاتي يولّدن نساء العبرانيين أن يقتلن كل صبي يولد، "وَكَلَّمَ مَلِكُ

1- مرجع سابق،تأثر اليهودية بالأديان الوثنية،ص163.

2- قصة الحضارة،ول ديورانت،تق:محي الدين صابر،تر:زكي نجيب وحمود،دار الجيل،1408هـ-1988م،لبنان،بيروت،ج2،ص324.

3- القرآن الكريم والتوراة والأنجيل والعلم،موريس بوكاي،مكتبة مديولي،ط1996،1م،ط2004،2م،القاهرة،ص259.

4- المصدر نفسه،ص259.

مِصْرَ قَابِلَتَيِ الْعِبْرَانِيَّاتِ اللَّتَيْنِ اسْمُ إِحْدَاهُمَا شِفْرَةُ وَاسْمُ الأُخْرَى فُوعَةُ، وَقَالَ: "حِينَمَا تُوَلِّدَانِ الْعِبْرَانِيَّاتِ وَتَنْظُرَانِهِنَّ عَلَى الْكَرَاسِيِّ، إِنْ كَانَ ابْنًا فَاقْتُلاَهُ، وَإِنْ كَانَ بِنْتًا فَتَحْيَا"[1]. وفي خضم هذه الظروف القاسية وُلد موسى[2].

وقد كبُر وترعرع في بيت فرعون، إلى أن وقعت الحادثة التي قتل فيها موسى الرجل المصري من أجل العبراني وصار مُطاردا من طرف فرعون، فهرب إلى الصحراء إلى أرض مدين، وهناك تجلىّ له الرب وأمره بإخراج شعبه من مصر وتخليصه من عبودية فرعون[3].

لم يرد في التوراة ولا في القرآن ذكر لتاريخ خروج بنو إسرائيل من مصر. إلاّ أنّ هناك جملة من الآراء للمؤرخين في هذه المسألة.

يؤكد سفر التكوين والخروج بأنّ العبريين مكثوا بمصر 400 أو 430 عاما. جاء في سفر التكوين: " فَقَالَ لأَبْرَامَ: "اعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ نَسْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ، وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ. فَيُذِلُّونَهُمْ أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ"[4].

وفي سفر الخروج ما نصه: "وَأَمَّا إِقَامَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّتِي أَقَامُوهَا فِي مِصْرَ فَكَانَتْ أَرْبَعَ مِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً"[5].

وهذا ممّا لا خلاف فيه بين المؤرخين، ولكن الذي وقع فيه الخلاف هو تاريخ خروجهم. ففريق منهم قال بخروجهم في القرن ال 16 ق.م. وفريق رأى أنهم خرجوا في عهد تحوتمس الثالث 1447 ق.م[1].

1- خروج:1: 15-16.

2- مدخل إلى تاريخ اليهودية وتعاليمها،عيسى دياب،دار المشرق،ط2013،1م،بيروت،لبنان،ص42.

3- تاريخ شعب العهد القديم،الأب ديلي،المطبعة الكاثوليكية،1961م،مطران،بيروت،ص136-137.

4- تكوين:15: 13.

5- خروخ:12: 40.

وذهب موريس بوكاي أنهم خرجوا من مصر في 1450 ق.م[2].

ويرى رجا عبد الحميد عرّابي في كتابه أنّ الخروج مع موسى كان في 1400 ق.م[3].

وفريق آخر يرى أنّ الخروج كان في القرن ال 13 ق.م أي في عهد رمسيس الثاني 1280-1290ق.م. أو بين 1224-1220 ق.م، وهو الرأي الذي مال إليه الأغلبية أمثال أحمد سوسة وغيره.

دور عزرا في تأسيس اليهودية

يُعتبَرُ عَزْرَا مِنَ الشَّخصيَّاتِ المِحوريَّةِ في تاريخِ اليَهوديَّةِ عموماً، وتاريخُ التَّوراةِ على وَجهِ التَّحديد. إذ كانَ لهُ دَورٌ بارزٌ في الحياةِ الدّينيَّةِ والاجتماعيَّة لليهودِ في مَرحَلةٍ دَقيقةٍ وحاسِمةٍ مِنْ تاريخِهم الَّذي شهدَ سقوطَ مملكةِ يهوّذا، وحَرْقَ الهَيكَلَ، وتَدميرَ أُورُشَليمَ (القدس)، ونهايةَ حكمِ آل داوود.

لَقَدْ وجدَ هَذَا الشَّعبُ نفسَه، حسب أندريه لومير، مُنقسِماً بعدَ هَذَا التّاريخِ إلى قِسمَين؛ قِسمٍ بقيَ في بلادِه، وآخرَ سُبِيَ إلى أرضٍ غَريبةٍ. فهؤلاءُ وأولئكَ لم يعُد لَديهم دَولةٌ، وكانوا مُعرَّضِين لخَطرِ الزَّوال كأُمَّةٍ مُتميّزة[4].

1- مرجع سابق،تأثر اليهودية بالديانات الوثنية،ص167.

2- مصدر سابق،موريس بوكاي،ص259.

3- مرجع سابق،سفر التاريخ اليهودي،ص93.

4- أندريه لومير: تاريخ الشَّعب العِبريّ، ترجمة أنطوان إ الهاشم، عويدات للنَّشر والطِّباعة، بيروت، 1999، ص 55

([2]) Armand Abécassis : : La pensée juive (Espaces de l'oubli et mémoires du temps), éd Librairie général française, Paris, 1989, p 53-54.

([3]) Ibid, p 71.

وعلى الرَّغمِ مِنَ الآثارِ النَّفسيَّةِ السَّلبيَّة الَّتي خلَّفَتْها تَجرِبةُ السَّبي البابِليّ في أوساطِ اليهوذيّين، إلاَّ أنَّ الكثيرَ مِنَ الباحِثين يُجمِعونَ على أنَّ هَذِهِ التَّجربةَ الَّتي مَرُّوا، وهم ببابلَ، بعيداً عَنْ أرضِ فلسطينَ كانَتْ مُفيدَةً بالنّسبةِ إليهم.

حقَّاً لَقَدْ جُرِّدوا مِنْ هويَّتِهم الوطنيَّة والسّياسيَّة. غيرَ أنَّ السّياسةَ الَّتي نَهجَها البابليُّونَ اتّجاهَ اليهود، المتمثّلة في إسكانِهم في مناطِقَ مُحدَّدةٍ ما زالَتْ معروفةً حتَّى الآن، ساهمَتْ في بَقائِهم، وحالَتْ دونَ تَذويبِهم داخلَ المجتمَعاتِ الَّتي رُحِّلوا إليها،[1] وطابَ لَهُم الاستِقرارُ هُنَاكَ إلى دَرجةِ أنَّ قرارَ العَودة إلى فِلسطينَ الَّذي أَصدرَ هُكُورَشُ الفارسيُّ لصَالِحِ اليهوذيّين لم يَجِدْ آذاناً صاغِيةً، بلْ إنَّ أغلَبَ المنفيّينَ فضَّلَ البقاءَ في بَابلَ.

إنَّ تَجرِبةَ المنفَى كانَتْ، إذاً، خَطوةً حاسِمةً جسَّدَتِ الانتقالَ مِنْ مُستوى اليَهوذيَّة Judéisme بكُلِّ ما تَحمِلُهُ مِنْ دَلالاتٍ عِرقيَّةٍ وجُغرافيَّةٍ إلى مُستَوىً أكثرَ تَجريداً، ألا وهوَ مُستَوى اليَهويَّة Judaïsme. إنَّ اليَهوديَّةَ، هي في حَقيقةِ الأمرِ طريقةٌ للحَياةِ وللتَّفكيرِ، تَعكُسُ مَكاناً مُحدَّداً هو بابِلُ، وزماناً مُحدَّداً هو القرنُ السَّادسُ قَبْلَ الميلادِ.

وخِلافاً لليهوذيَّةِ الَّتي نشأَتْ بفِلسطينَ، كما أشارَ إلى ذَلِكَ "أرموند أبو كاسي"،[2] وكانَتْ مُرتَبِطَة ارتِباطاً يوميَّاً بالأرضِ، فإنَّ اليَهوديَّةَ هيَ مِنْ إبداعِ المنفَى، ومِن هنا فإنَّها لا تُدرَكُ إدراكاً صَحيحاً إلاّ في ضَوءِ هَذَا الانفِصالِ الجُغرافيّ. إنَّ تَجربةَ المنفَى هي الَّتي مدَّنَتْ اليَهوذيّينَ، وساهَمَتْ

1-Armand Abécassis : : La pensée juive (Espaces de l'oubli et mémoires du temps), éd Librairie général française, Paris, 1989, p 53-54.

2- Ibid, p 71.

بشكلٍ كبيرٍ في توحيدِ كَلِمتِهم، وَوَلدَت لديهم أكثرَ مِنْ ذَلِكَ حِسَّاً دينيَّاً قويَّاً سُرعانَ ما تُرجِمَ على أرضِ الواقِعِ بإقبالِهم على البَدءِ في جَمعِ وتَدوينِ التَّوراة. ويَجِبُ التَّذكيرُ بأنَّ هَذِهِ الحِقبةَ مِنْ تاريخِ الإنسانيَّةِ شَهدَتْ، ولاسيَّما في الشَّرقِ وأقصى الشَّرقِ، تَحوُّلاتٍ كُبرى مِثلَ ظهورِ(كونفشيوس)، و(بوذا)، و (زرادشت). ناهيكَ عَنْ بِدايةِ نَشأةِ الفلسفةِ، وما كانَتْ تَمورُ بهِ الثَّقافةُ البابليَّةُ مِنْ مِيثولوجيَّاتٍ وأساطيرَ. غيرَ أنَّ المِيلادَ الحقيقيَّ لليهوديَّةِ سيتحقَّقُ في ظِلِّ الدَّولةِ الأخمينيَّة، وهيَ أُسرَةٌ مالِكةٌ فارسيَّةٌ أسَّسَها كُورَشُ الثَّاني حوالي550 ق.م، تَمكَّنَت مِنْ بَسطِ نُفوذِها على الشَّرقِ القديمِ، ومن توحيدِ أجزائِه، ويعودُ الفضلُ فيذَلِكَ إلى رَجلَينِ اثنَينِ هما: (عَزْرَا الورَّاق Esdras le scribe، وكُورَشُ المخلِصCyrus le messie).

فبعدَ أن تمكَّنَ(كُورَشُ)مِنَ القضاءِ على الدَّولة البابليَّة، واحتلالِ عاصِمتِها سنةَ 540 ق.م، وبمُجرَّدِ أن استَتبَّ لهُ الأمرُ، بادَرَ إلى إصدارِ مرسومٍ يَتضمَّنُ أمراً بعودةِ المنفيّينِ إلى أُورُشَليمَ، مَعَ السَّماحِ لَهُم بإعَادةِ بناءِ الهَيكَلِ الَّذي لن يتمَّ بناؤُهُ إلاَّ في عَهدِ المَلِكِ(داريوسَ) حوالي 516 ق.م. ومن دونِ الدُّخولِ في التَّفاصيلِ التَّاريخيَّةِ الَّتي يَصعُبُ التَّثبُّتُ مِنْ مَدى صحَّتِها، والَّتي لا يَسمَحُ المجالُ للتَّوسُّعِ فيها، فإنَّ ما يَنبَغي أن نتوقَّفَ عندَه هو ارتباطُ اسمِ عَزْرَا بعمليَّةِ جمعِ وتدوينِ التَّوراة. وعمليَّةُ الجمعِ والتَّدوينِ تَفترِضُ أمرَينِ اثنَينِ هما: إمَّا أنَّ التَّوراة كانَتْ تُنقَلُ شفويَّاً مِنْ جيلٍ إلى آخرَ فدعَت الضَّرورةُ إلى تدوينِها حِفاظاً لها مِنَ الضَّياعِ، وإمَّا أنَّها كانَتْ عبارةً عَنْ أسفارٍ مُستقِلَّةٍ ومُتفرِّقةٍ فجاءَ الوَقْتُ المناسِبِ لجمعِها. وهذانِ الاحتمالانِ، على الرَّغمِ مِنْ وَجاهَتِهما، فإنَّهما يَصطَدِمان بقصةِ اختفاءِ التَّوراة، وتعدُّد الفرضيَّات بشأنِها. فهُنَاكَ مَنْ يُرجِّحُ فُقدانَها بالتَّزامُنِ مَعَ استيلاءِ الفلسطينيّينَ حوالي 1076 ق.م على تابوتِ العهدِ في نهاية قضاءِ "عال" الكاهن. وقد ظلَّ التَّابوتُ قرابةَ سبعةِ أشهُرٍ في مُلكيَّةِ الفلسطينيّينَ حتَّى استرجعَه اليهودُ في أيامِ النَّبيِّ(صموئيلَ). غيرَ أنَّ المفاجَأةَ غيرَ السَّارةِ هيَ عدمُ احتواءِ تابوتِ العَهدِ على التَّوراة. جاءَ في

سِفْر الملوكِ الأوَّل: (لَمْ يَكُنْ فِي التَّابُوتِ إِلاَّ لَوْحَا الْحَجَرِ اللَّذَانِ وَضَعَهُمَا مُوسَى هُنَاكَ فِي حُورِيبَ حِينَ عَاهَدَ الرَّبُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصرَ).[1]

ويَرى آخرونَ أنَّ التَّوراةَ لم تكُنْ في تابوتِ العَهدِ حينَ عمدَ النَّبيُّ(سُلَيمانُ) إلى نَقلِهِ إلى الهَيكَلِ الَّذي بَناهُ بأُورُشَليمَ. ويَروي سِفْر الملوكِ الثَّاني العثورَ على التَّوراةِ: (فَقَالَ حِلْقِيَّا الْكَاهِنُ الْعَظِيمُ لِشَافَانَ الْكَاتِبِ: [قَدْ وَجَدْتُ سِفْرَ الشَّرِيعَةِ فِي بَيْتِ الرَّبِّ]. وَسَلَّمَ حِلْقِيَّا السِّفْرَ لِشَافَانَ فَقَرَأَهُ. وَجَاءَ شَافَانُ الْكَاتِبُ إِلَى الْمَلِكِ وَقَالَ: [قَدْ أَفْرَغَ عَبِيدُكَ الْفِضَّةَ الْمَوْجُودَةَ فِي الْبَيْتِ وَدَفَعُوهَا إِلَى يَدِ عَامِلِي الشُّغْلِ وُكَلاَءِ بَيْتِ الرَّبِّ].وَأَخْبَرَ شَافَانُ الْكَاتِبُ الْمَلِكَ: [قَدْ أَعْطَانِي حِلْقِيَّا الْكَاهِنُ سِفْراً]. وَقَرَأَهُ شَافَانُ أَمَامَ الْمَلِكِ.. فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ كَلاَمَ سِفْرِ الشَّرِيعَةِ مَزَّقَ ثِيَابَهُ)[2].

ويَعتَقِدُ الكثيرونَ أنَّ التَّوراةَ ضاعَتْ بعدَ دَمارِ أُورُشَليمَ على يَدِ البابليّينَ سنةَ 587 ق.م. والأمرُ الَّذي لا شَكَّ فيه، أنَّ إمكانيَّةَ اختفاءِ التَّوراةِ في هَذَا العَهدِ أمرٌ غيرُ مُستبعَدٍ لأنَّها تنتمي، أولاً، إلى مرحلةِ اللَّفائف الَّتي تتميَّزُ بكبرِ حَجمِها، وصعوبةَ تَصفُّحِها، وغلاءِ المادَّةِ الخام الَّتي تُصنع منها، يُضافُ إلى ذَلِكَ، أنَّ مُلكيَّةَ التَّوراةِ، أو أيّ كتابٍ دينيٍّ آخرَ، لم تكُنْ مُشاعَةً، بلْ كانَتْ حِكراً على فِئةٍ مَحدودَةٍ لا تَتعدَّى في غالبِ الأحيانِ رجالَ الدّين، والنَّاطقِين باسمِه ولاسيَّما مَعَ مَركزيَّةِ العِبادَةِ في الهَيكَلِ اليَهوديّ. كما يَجِبُ أن نأخذَ بعينِ الاعتبارِ بُعدَ المسافةِ الزَّمنيَّة ما بينَ نزولِ التَّوراةِ على النَّبيّ موسى وبدايةِ جَمعِها وتدوينِها على يَدِ عَزْرَا. غيرَ أنَّ الحلقةَ المفقودةَ تَتمثَّلُ في أنَّنا نَجهَلُ أو لا نعرفُ إلاّ القليلَ عَنْ كيفيَّةِ جَمعِ المادَّةِ المكوِّنةِ للتَّوراةِ. هلِ استَقَاها عَزْرَا مِنْ مَصادِرَ شَفويَّةٍ؟ أو اعتمَدَ على صُحفٍ مَكتوبةٍ؟ وهل قامَ بعمليَّةِ تَنسيقٍ وتَحريرٍ ومُراجَعةٍ للتَّوراةِ الموروثةِ؟ أو نقلَها كما وصلَتْ إليه؟ وهل كانَ للانتماءِ الإيديولوجيّ دَورٌ في الإبقاءِ على بعضِ الأسفارِ أو بعضِ الإصحَاحاتِ وإقصاءِ أُخرى؟

1- سِفْرُ الملوكِ الأوَّل 8: 9

2- سِفْرُ الملوكِ الثَّاني: 22، 8-11

كانَ السُّؤالُ، لأَمَدٍ طَويلٍ، مُنصَبَّاً على **عَزْرَا**، وتحديداً حولَ ما يأتي: هلْ مَهمَّةُ عَزْرَا كانَتْ تَنحَصِرُ، فقط، في تَحديدِ الأسفارِ المشكِّلةِ لقانونِ التَّوراةِ، وتصحيحِ بعضِ الهفواتِ، أو أنَّه كانَ يَقومَ عَنْ طريقِ الوحيِ بإعادَةِ إنشاءِ التَّوراةِ الَّتي تَمَّ إتلافُها في الحريقِ الَّذي شبَّ في الهَيكَلِ؟

في الحالتَينِ مَعَاً، كما يوضِّحُ ذَلِكَ (**جان برنييه Jean Bernier**)، يَتَعَلَّق الأمرُ بِكتابٍ كانَ مَوجوداً، ويَحظَى أكثرَ مِنْ ذَلِكَ بالشَّرعيَّةِ الَّتي استَمدَّها قَبْلَ مَجيءِ عَزْرَا[1]. ويَختلِفُ عُلمَاءُ نقدِ الكتابِ المقدَّس فيما عَدا ذلكَ. بالنِّسبَة لِ "باروخ سبينوزا- Spinoza"، فإنَّ عَزْرَا هو الَّذي ألَّفَ التَّوراةَ اِنطِلاقاً مِنْ مَصادِرَ مَكتوبَةٍ، غيرَ أنَّه لَمْ يُحَدِّدْ طبيعتَها، ولا مَصدَرَها.

ويذهبُ(**ريشارد سيمون Richard (Simon** إلى القولِ بأنَّ **عَزْرَا** وُمساعِدِيه مِنَ الكَتَبةِ وَضَعوا عَمَلاً يَشمَلُ تاريخَ العبرانيّينَ، والشَّريعةَ الَّتي أَنزَلَها اللهُ اِعتِماداً على نصوصٍ مَنسوبَةٍ إلى موسى، ومُذكَّراتٍ تَعودُ إلى كتابٍ عُموميّينَ كانَتْ مَحفوظةً في الأرشيفِ. ويُضيفُ قائِلاً بأنَّ التَّوراةَ الَّتي دُوِّنَتْ بِإشرافِ عَزْرَا يَنبغي أن يُنْظَرَ إليها كأنَّها نَسخَةٌ أصليَّةٌ. مَعَ العِلمِ بأنَّ(ريشارد سيمون) يَعرِفُ حقَّ المعرِفَةِ بأنَّها ليسَتْ مُطابِقَةً للتَّوراةِ الَّتي نَزلَت على موسى[2].

1 - Jean bernier : La critique du pentateuque de Hobbes à Calmet, édHonoré Champion, Paris, 2010, p 250-251.

2 - Ibid, p 252-253

المحاضرة السابعة

2- عصر اليهودية :

إن تاريخهم يبْدَأ من إِسْرَائِيل – وَهُوَ يَعْقُوب بن إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيم الْخَلِيل عَلَيْهِم الصَّلَاة وَالسَّلَام – الَّذِي نَشأ وعاش فِي أَرض الكنعانيين (أَرض فلسطين) ، وَقد ولد لَهُ اثْنَا عشر ولدا من أَربع نسْوَة وهم كالآتي:

- رأوبين، شَمْعُون، لاوي، يهوذا، يسّاكَرُ، زبلون وأمهم ليئة.
- يُوسُف عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام، بنيامين – وأمهما راحيل.
- دَان، نفْتالي – وأمهما بِلْهة جَارِيَة راحيل.
- جاد، أُشير – وأمهما زِلفة جَارِيَة ليئة.

وَهَؤُلَاء الْأَوْلَاد الإثنا عشر هم أصل الأسباط الإسرائيليين.

ثمَّ قصَّة يُوسُف عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام الْمَشْهُورَة مَعَ إِخْوَته وأبيهم يَعْقُوب عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام، وانتقال إِسْرَائِيل (يَعْقُوب) وبنيه للعيش فِي أَرض مصرمعززين مكرّمين فِي ظلّ يُوسُف عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام.

وَبعد وَفَاة يَعْقُوب ويوسف عَلَيْهِمَا الصَّلَاة وَالسَّلَام وتوالي السنون وتعاقب الْمُلُوك، تغير حَال بني إِسْرَائِيل فِي مصر من الْعِزَّة والكرامة إِلَى المذلة والمهانة، لِأَن فِرْعَوْن مصر اضطهد بني إِسْرَائِيل واستعبدهم.

فَأرْسل الله تبَارك وَتَعَالَى مُوسَى وَهَارُون عَلَيْهِمَا الصَّلَاة وَالسَّلَام ابْني عمرام بن قَهَات بن لاوي بن يَعْقُوب عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام إِلَى فِرْعَوْن وَقَومه مؤيّدين بالمعجزات لدعوتهم إِلَى الْإِيمَان بِاللَّه وَحده وَرفع الْعَذَاب عَن بني إِسْرَائِيل، فكذب فِرْعَوْن وَقَومه وعصوا وَكَفرُوا بِاللَّه وآياته، فَأمر

الله رَسُوله مُوسَى أَن يخرج ببني إِسْرَائِيل من مصر، فأتبعهم فِرْعَوْن بجُنُوده، فأغرقهم الله فِي اليمّ، ونَجَّا مُوسَى وَقَومه إِلَى أَرض سيناء.

فَأَمرهمْ الله عز وَجل أَن يدخلُوا الأَرْض المقدسة (بَيت الْمُقَدّس وَأَرْض الْخيرَات) وَوَعدهمْ بالنصر، وَطلب مُوسَى ذَلِك من قومه، فَقَالَ عز وَجل: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا}[1].

فَحكم الله عَلَيْهِم بالتيه فِي صحراء سيناء أَرْبَعِينَ سنة يَسِيرُونَ دَائِما لَا يَهْتَدُونَ لِلْخُرُوجِ مِنْهُ حَتَّى مَاتَ ذَلِك الجيل المتخاذل العَاصِي الَّذِي خرج بِهِ مُوسَى من مصر وَلَقي من أذاهم وعصيانهم مَا لَا يُوصف.

- وَتُوفِّي هَارُون وَمن بعده مُوسَى عَلَيْهِمَا الصَّلَاة وَالسَّلَام فِي ذَلِك التيه، وَأَقَام الله فِي بني إِسْرَائِيل يُوشَع بن نون (فَتى مُوسَى) عَلَيْهِمَا الصَّلَاة وَالسَّلَام نَبيا لَهُم خَليفَة عَن مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام، وَلما انْقَضتْ مُدَّة التيه خرج يُوشَع عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام ببني إِسْرَائِيل إِلَى بَيت الْمُقَدّس فحاصرها وَفتحهَا الله عَلَيْهِم، وَأمرهمْ الله عز وَجل حِين دُخُولهمْ الأَرْض المقدسة {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}[2].

- وَبعد دُخُولهمْ الأَرْض المقدسة بَدَأَ يُوشَع عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام يكمل فتوحاته وَيقسم الْأَرَاضِي الَّتِي غنمها على أَسْبَاط بني إِسْرَائِيل الإِثني عشر، وَبعد وَفَاة يُوشَع عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام تولى قيادة بني إِسْرَائِيل قضاتهم. وَمن هُنَا يُقَسِّم المؤرخون المراحل التاريخية الَّتِي مرت على بني إِسْرَائِيل مُنْذُ دُخُولهمْ الأَرْض المقدسة (فلسطين) إِلَى العصور الْآتِيَة:

أ- عصر الْقُضَاة.

نِسْبَة إِلَى الْقُضَاة الَّذين تولّوا الحكم فِي أَسْبَاط بني إِسْرَائِيل الإِثني عشر بعد وَفَاة يُوشَع بن

1- سورة المائدة، الآية: 20

2- سورة البقرة، الآية: 58

نون عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام، وَيَنْتَهِي هَذَا الْعَصْر بآخر قَاض لبني إِسْرَائِيل وَهُوَ صموئيل، وَمُدَّة هَذَا الْعَصْر 350 سنة على حِسَاب سفر الْقُضَاة، وَالتَّحْقِيق العلمي يثبت أَن هَذَا الْعَصْر لَا تزيد مدَّته عَن 100عَام.

وَمن سمات هَذَا الْعَصْر كَثْرَة النزاعات والحروب الداخلية والخارجية بَين الأسباط الإثني عشر وَغَيرهم، وتكرر حوادث الارتداد وَالْكفْر مِنْهُم، وانتشار الزِّنَا بَينهم ، وحينما فسد الْقُضَاة وَأخذُوا الرِّشْوَة وحكموا بَين النَّاس بالظلم والهوى طلب بَنو إِسْرَائِيل من نَبِي لَهُم يدعى (صموئيل) وَهُوَ آخر قضاتهم أَن يخْتَار لَهُم ملكا يوحد صفوفهم وَيُقِيم النظام بَينهم وَيُقَاتل أمامهم، وَبِذَلِك يبْدَأ الْعَصْر الثَّانِي وَهُوَ عصر الْمُلُوك.

ب- عصر الْمُلُوك.

وَيبدأ بِاخْتِيَار شاؤل ملكا على بني إِسْرَائِيل، ثمَّ دَاوُد، ثمَّ سُلَيْمَان عَلَيْهِمَا الصَّلَاة وَالسَّلَام.
وَمن أبرز حوادث هَذَا الْعَصْر: بِنَاء دَاوُد عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام للهيكل، وإتمام بنائِهِ فِي عهد سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام وتسميته بـ (هيكل سُلَيْمَان) ، وتكرر حوادث الانحراف وَالْكفْر فِي بني إسرائيل وَبعد وَفَاة سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام انقسمت مملكة بني إِسْرَائِيل، وَكَانَ ذَلِك بداية الْعَصْر الثَّالِث.

ج- عصر انقسام مملكة بني إِسْرَائِيل.

بعد وَفَاة سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام اجْتمع بَنو إِسْرَائِيل فِي أورشليم لتنصيب رحبعام بن سُلَيْمَان مَكَان أَبِيه، وَلَكنهُمْ اشترطوا عَلَيْهِ تَخْفِيف الْأَحْكَام الَّتِي فَرضهَا عَلَيْهِم سُلَيْمَان، لكنه رفض ذَلِك فانحاز مُعظم الشّعب (10 أَسْبَاط) إِلَى مبايعة يربعام بن نباط (وَكَانَ أحد قادة جيوش سُلَيْمَان فانشق عَنهُ وهرب إِلَى مصر وَعَاد إِلَى فلسطين بعد وَفَاة سُلَيْمَان) وَبَايع سبطا يهوذا وبنيامين رحبعام، وَبِهَذَا انقسمت مملكة بني إِسْرَائِيل إِلَى دولتين متنازعتين:

1 - إِحْدَاهمَا فِي الشمَال وَتسَمى (مملكة إِسْرَائِيل أَو مملكة السامرة) أَو (المملكة الشمالية) وعاصمتها (شكيم) الَّتِي بناها يربعام.

2 - وَالْأُخْرَى فِي الْجنُوب وَتسَمى (مملكة يهوذا) أَو (المملكة الجنوبية) وعاصمتها (أورشليم) .

وأبرز حوادث هَذَا الْعَصْر مَا يَأْتِي:

أ – وُقُوع بني إِسْرَائِيل فِي الرِّدَّة وَالْكفْر والفجور مُنْذُ بداية عصر الانقسام وتكرر ذَلِك مِنْهُم مَرَّات عديدة فِي أزمنة مُخْتَلفَة.

ب – سلسلة الحروب والنكبات المستمرة بَين المملكتين وَمَعَ الْبِلَاد الْمُجَاورَة لَهَا.

ج – الْغَزْو الآشوري بقيادة الإمبراطور الآشوري (تغْلث فلاسر) على مملكة إِسْرَائِيل الشمالية، وَالْقَضَاء عَلَيْهَا وتدميرها تدميراً نهائياً وَنقل من بَقِي من أَهلهَا أسرى إِلَى آشور (الْعرَاق) على يَد الإمبراطور الآشوري سرجون الثَّانِي فِي عَام 722م، وَبِذَلِك كَانَت نِهَايَة مملكة إِسْرَائِيل الشمالية.

د – ضيَاع التَّوْرَاة وإهمالها سنوات مديدة ثمَّ ادِّعَاء العثور عَلَيْهَا من غير قصد فِي عهد الْملك يوشيا من مُلُوك مملكة يهوذا بعد تدمير مملكة إِسْرَائِيل.

د– عصر الانقسام البابلي.

بقيت مملكة يهوذا الجنوبية تكافح وتناضل الطامعين فِيهَا من أجل الْبَقَاء إِلَى أَن جَاءَ فِرْعَوْن مصر فزحف على مملكة يهوذا سنة 608 ق. م فاحتلها، وَاسْتمرّ فِي زحفه فاحتل مملكة إِسْرَائِيل الَّتِي كَانَت قد سَقَطت تَحت سلطة الآشوريين، وَقد ثار لذَلِك البابليون – الَّذين خلفوا الآشوريين وورثوا ممتلكاتهم – وَجَاءُوا بقيادة ملكهم بخْتنصر (نبوخذ نصر) الَّذِي احتل أورشليم وأحرق هيكل سُلَيْمَان وهدمه، ودمّر أسوار ومنازل أورشليم، وَأخذ من بَقِي من بني إِسْرَائِيل عبيدا إِلَى بابل وَهَذَا مَا يعرف فِي تَارِيخ الْيَهُود بـ (الْأسر أَو السَّبي البابلي) سنة 586 ق. م. تَقْرِيبًا، وَفِيه وَقع (التدمير الأول) لهيكل سُلَيْمَان، وَكَانَ ذَلِك الْقَضَاء المبرم على مملكة يهوذا أَو مَا تبقى من مملكة بني إِسْرَائِيل.

وَقد عَاشَ بَنو إِسْرَائِيل فِي المنفى أَو السَّبي البابلي مُدَّة طَوِيلَة، انحرفوا خلالها عَن الدّين الْحق وتأثروا بوثنية أسيادهم البابليين وَمن جَاءَ بعدهمْ.

هـ – عصر العودة من السَّبي إِلَى أورشليم.

فِي سنة 539 ق. م احتل الْفرس بِلَاد بابل وورثوا ممتلكاتهم، وَأظْهر ملك الْفرس (كورش) تعاطفا نَحْو بني إِسْرَائِيل حَيْثُ سمح لَهُم بالعودة إِلَى فلسطين سنة 536 ق. م، وَلَكِن الكثيرين

مِنْهُم فضلوا الْبَقَاء فِي بابل، وَعَاد بَعضهم على صُورَة جماعات كَانَ أَولهَا بقيادة زَرَّبَابَل وَكَانَ عَددهمْ خمسين ألف يَهُودِيّ ثمَّ تَحت قيادة عزرا ثمَّ نحميا.

وأبرز حوادث هَذَا الْعَصْر مَا يَأْتِي:

1 – إِعَادَة بِنَاء مَدِينَة أورشليم وهيكل سُلَيْمَان.

2 – يزْعم الْيَهُود بِأَن (عزرا) أعَاد التَّوْرَاة المفقودة – فِي السَّبي البابلي – من حفظه، وَأَنه الَّذِي جمع أسفار الْكتاب الْمُقَدّس ونظمها، وَأَنه مؤسس نظم الْيَهُود الْمُتَأَخِّرَة (فِي الْقرن الْخَامِس ق. م) وَلذَلِك يلقب بِـ (الكاهن الْكَاتِب أَو الْوراق) .

و– عصر الشتات (الدياسبورا).

على أثر ثورة من الثورات المتكررة الَّتِي كَانَ يقوم بهَا الْيَهُود سنة 70م دمّر الإمبراطور الروماني تيطس (هيكل سُلَيْمَان) مرّة ثَانِيَة وَقتل وسبى عددا كَبِيرا من الْيَهُود.

وَفِي سنة 135م قَامَ الْيَهُود بثورة أُخْرَى زمن الإمبراطور الروماني أدريانوس الَّذِي دمّر مَدِينَة أورشليم، وَبنى مَكَان الهيكل معبدًا لـ (جوبيتير) كَبِير آلِهَة الرومان وغيّر اسْم الْمَدِينَة إِلَى (إيليا كابيتولينا) ، وتخلص من الْيَهُود فِيهَا بِالْقَتْلِ والتعذيب والتشريد وَالنَّفْي ومنعهم من دُخُولهَا2.

فازداد تشَتت الْيَهُود وتفرقهم فِي أنحاء الْعَالم – عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ من قبل مُنْذُ التدمير الثَّانِي للهيكل – فِي دوَل آسيا وأوروبا وإفريقيا.

وَمَعَ تشتتهم فَإِن الْعَذَاب كَانَ يحل بهم أَيْنَمَا حلوا، وتعرضوا لنقمة أهل الْبِلَاد الَّتِي يسكنون فِيهَا بِسَبَب كفرهم وفسقهم وفسادهم وإفسادهم فِي الأَرْض وإشاعتهم للفتن والرذائل وَأكل أَمْوَال النَّاس بِالْبَاطِلِ قَالَ الله تَعَالَى عَنْهُم: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}[1].

1– سورة المائدة، الآية: 64

فَكَانَ عِقَاب الله عز وَجل عَلَيْهِم بِأَن سلّط عَلَيْهِم من يسومهم سوء الْعَذَاب إِلَى يَوْم الْقِيَامَة قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}.

فَسلط الله عَلَيْهِم الآشوريين والفراعنة المصريين والبابليين واليونانيين والبطالسة المصريين الوثنيين ثمَّ الرومان الوثنيين والنصرانيين قَدِيما وحديثاً لقرون عديدة، ثمَّ بعد بعثة النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم سلطه الله عز وَجل عَلَيْهِم فَأجلى بني قينقاع وَبني النَّضِير عَن الْمَدِينَة النَّبَوِيَّة وَقتل بني قُرَيْظَة وَحَارب يهود خَيْبَر حَتَّى استسلموا لَهُ وصالحوه، ثمَّ أوصى بإخراجهم من جَزِيرَة الْعَرَب فَقَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم.

الكتب المقدسة عند اليهود

أولا: العهد القديم:

وهذه التسمية أطلقها المسيحيون للتمييز بين أسفارهم والأسفار اليهودية، بينما تسمى عند اليهود بـ " التاناخ" والتي هي اختصار للأقسام الثلاثة لأسفارهم (التوراة، أسفار أنبياء، الكتب التاريخية),

كلمة العهد في التوراة تعني الوعد الصادق من الله تعالى للإنسان. والمقصود بالعهد القديم التوراة وملحقاتها من جميع الأسفار "المنسوبة للأنبياء" قبل عيسى عليه السلام. وقسموا العهد القديم إلى ثلاثة أقسام : الشريعة(من التكوين إلى التثنية)، الأنبياء(من يشوع إلى الملوك الأول واشعيا وارميا)، الكتابات الباقية (المزامير، وأخبار الأيام ودانيال والأمثال الخ...) وهذه الأسفار جميعها دوّنت أصلا في العبرية ماعدا بعض المقاطع في الآرامية.[1]

أقسام التناخ

1. مانع بن حمّاد الجهني، الموسوعة الميّسرة، دار الندوة العالمية، الرياض، الطبعة الخامسة ، ص1098

- **التوراة:** كلمة عبرانية تعني الشريعة أو الناموس، بينما يطلق النصارى اسم التوراة على جميع أسفار العهد القديم.

ويراد بها في اصطلاح اليهود: خمسة أسفار يعتقدون أن موسى عليه السلام كتبها بيده ويسمونها "بنتاتوك" نسبة إلى "بنتا" وهي كلمة يونانية تعني خمسه أي الأسفار الخمسة وهذه الأسفار هي:

1- سفر التكوين: ويتحدث عن خلق السموات، والأرض، وآدم، والأنبياء بعده إلى موت يوسف عليه السلام

2- سفر الخروج: ويتحدث عن قصة بني إسرائيل من بعد موت يوسف عليه السلام إلى خروجهم من مصر، وماحدث لهم بعد الخروج مع موسى عليه السلام.

3- سفر اللاويين: وهو نسبة إلى سبط بني لاوى بن يعقوب الذي من نسله موسى وهارون عليهما السلام، وأولاد هارون هم الذين فيهم الكهانة أي القيام بالأمور الدينية وهم المكلفون بالمحافظة على الشريعة وتعليمها الناس، ويتضمن هذا السفر أموراً تتعلق بهم وبعض الشعائر الدينية الأخرى.

4- سفر العدد: وهو معني بعدِّ بني إسرائيل، ويتضمن توجيهات، وحوادث حدثت من بني إسرائيل بعد الخروج.

5- سفر التثنية: ويعني تكرير الشريعة، وإعادة الأوامر والنواهي عليهم مره أخرى، وينتهي هذا السفر بذكر موت موسى عليه السلام وقبره.

الأسفار التاريخية: وهي ثلاثة عشر سفرا:

1- يشوع 2-القضاة 3-راعوث 4-صموئيل الأول 5 -صموئيل الثاني 6- الملوك الأول 7- الملوك الثاني8-أخبار الأيام الأول 9- أخبار الأيام الثاني 10- عزرا 11- نحميا 12- إستير 13- يونان.

وهذه الأسفار تحكي قصة بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام إلى ما بعد العودة من السبي البابلي إلى فلسطين، وإقامتهم للهيكل مرة أخرى بعد تدميره،ماعدا سفري أخبار الأيام

الأول والثاني فإنها تعيد قصة بني إسرائيل وتبتدئ بذكر مواليد آدم على سبيل الاختصار إلى السنة الأولى لمِلَك الفرس قورش.

وكذلك سفر يونان "يونس عليه السلام) يحكي قصته مع أهل نينوى الذين أرسل إليهم.

أسفار الأنبياء: وهي خمسة عشر سفراً:

1- أشعيا 2- إرميا 3- حزقيال 4- دانيال 5- هوشع 6- يوثيل 7- عاموس. 8- عوبديا 9- ميخا 10- ناحوم 11- حبقوق. 12- صفنيا 13- حجى 14- زكريا 15- ملاخى2. وهذه الأسفار يغلب عليها طابع الرؤى، والتنبؤات بما سيكون من حال بني إسرائيل، وحال الناس معهم، وفيها تهديدات لبني إسرائيل، ووعود بالعودة والنصر. والذين نسبت إليهم هذه الأسفار هم ممن كانوا زمن السبي إلى بابل وبعده، وتلحق بهم أسفار الحكمة والشعر (الأسفار الأدبية) .وهي خمسة أسفار:1- أيوب 2- الأمثال 3- الجامعة 4- نشيد الإنشاد 5- مراثي إرميا[1].

ثانيا : التلمود

تعريفه:

التلمود هو: تعليم ديانة وأداب اليهود وهو يتكون من جزئين:

متن: ويسمى المشناه: بمعنى المعرفة أو الشريعة المكررة.

شرح: ويسمى جمارا: ومعناه الإكمال.

تدوينه:

التلمود هو القانون أو الشريعة الشفهية التي كان يتناقلها الحاخامات الفريسيون من اليهود سراً جيلاً بعد جيل.

ثم إنهم لخوفهم عليها من الضياع دونوها، وكان تدوينها في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، وأطلق عليها اسم "المشناه".

ثم شرحت فيما بعد هذه المشناه وسمي الشرح " جمارا "وأُلِّفَتْ هذه الشروح في فترة طويلة امتدت من القرن الثاني بعد الميلاد إلى أواخر السادس بعد الميلاد.

1- سعود بن عبد العزيز الخلف دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية/ مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية ط4 ، 1425هـ/2004م/الجزء 1/ص74-76

وتعاقب على الشرح حاخامات بابل، وحاخامات فلسطين، ثم سمي المتن وهو المشناه مع الشرح وهي جمار " التلمود" وما كان عليه تعليقات وشرح حاخامات بابل سمي تلمود بابل، وما كان عليه شروح حاخامات فلسطين سمي تلمود فلسطين[1].

1- سعود بن عبد العزيز الخلف المرجع السابق ص120-121

المحاضرة الثامنة

الفصل الثاني :المسيحية

مراحل تشكل المسيحية

في البداية كانت النصرانية، وهي الرسالة التي أُنزلت على عيسى عليه الصلاة والسلام، مكمِّلة لرسالة موسى عليه الصلاة والسلام، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح، ولكنها جابهت مقاومة واضطهاداً شديداً، فسرعان ما فقدت أصولها، مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها، فابتعدت كثيراً عن أصولها الأولى لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية.

"نصارى" وبهذا الاسم جاء القرآن الكريم ، ولم يطلق عليهم ولو في موضع واحد أنهم "مسيحيون" ولفظ "مسيحي" نسبةً إلى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

وهذه النسبة غير صحيحة في الواقع ، لأنهم لو كانوا أتباع المسيح حقا لعملوا بما جاء به، كما بشرهم بذلك المسيح نفسه ، وأمرهم بالإيمان به ، قال الله تعالى : (وَإِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ)[1]، فتبين بذلك أنهم ليسوا اتباعاً للمسيح عليه السلام حقيقةً.

ولكن .. نظراً لأنه غلب إطلاق "مسيحي" على أتباع الديانة النصرانية ، ولا يقصد كثير ممن يطلق هذا الاسم أنهم اتباعه حقيقةً ، وإنما يريد فقط التعريف بهم ، وأنهم ينسبون أنفسهم إليه ، فلا حرج من استعماله ، وممن استعمل هذا الاسم "مسيحي".

1- سورة الصف، الآية: 6

وأول ما استخدمت "كلمة المسيحي" كان في العام 42 م تقريبا، حيث يذكر سفر أعمال الرسل إعطاء أتباع يسوع لقب مسيحيين في مدينة أنطاكية.

يسوع المسيح

هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وتشير نصوص العهد الجديد إلى ولادته بتواريخ مختلة، لا يمكن من خلالها تحديد ميلاد المسيح، يقول متى ي إنجيله (1: 2) أنه ولد في (أيام هيرودوس الكبير)، ومادام هيرودوس توفي عام 4ق.م، فهذا يشير إلى أن عيسى عليه السلام ولد قبل هذا التاريخ المتداول اليوم، بينما يقول لوقا في إنجيله (3: 1-2و 23) أن يحنا المعمدان قد بدأ الوعظ في العالم في عام15 من عهد الإمبراطور تيبيريوس (26 أو 27م)، وأنه عمّد يسوع بُعيد ذلك، وكان يسوع زهاء الثلاثين عندما بدأ كرازته، وعندما نعود بالزمن إلى الوراء نضطر إلى تأريخ ميلاد المسيح بأربع سنوات قبل التاريخ المحدد.[1]

بالنسبة لمكان ميلاد يسوع المسيح، فكذلك لا يوجد يقين في مكان مولده، فيرى لوقا ومتى من خلال ما ذكرا في إنجيلهما أنه وُلد في بيت لحم "مدينة داود"، تبعا للنبوءات المتعلقة بالمسيح المتظر التي وردت في التاناخ، لكن ما تشير إليه باقي الأناجيل أن بيت الأسرة كان في "الناصرة" في الجليل، وفيها كان يوسف يزاول حرفة النجارة، وتشير الدراسات التاريخية أن ما يقارب من 13 سنة من عمر يسوع قضاها فيها.[2]

1- فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان. تر: عبد الرزاق العلي ومحمود منقذ الهاشمي. دار التنوير، بيروت. 2018. مج 5، ص 230

2- فراس السواح، المرجع السابق. مج 5. ص 231

أقسام العهد الجديد

المطلب الأول: الأسفار التاريخية

يشمل هذا القسم خمسة أسفار هي الأناجيل الأربعة ثم رسالة أعمال الرسل التي كتبها لوقا وسميت بالأسفار التاريخية لأنها تحوي قصصا تاريخية، فالأناجيل تحوي قصة حياة عيسى وتاريخه وعظاته ومعجزاته، ورسالة أعمال الرسل تحوي قصة حياة معلمي المسيحية خاصة بولس.

أولا: الأناجيل الأربعة

1- إنجيل متى:

يرجح أن هذا الإنجيل كتب في فلسطين لأجل المؤمنين من بين اليهود الذين اعتنقوا الديانة المسيحية، وهذا الإنجيل يظهر يسوع كأعظم الأنبياء الذي تمم العهد القديم.

اختلف القول بخصوص لغة هذا الإنجيل الأصلية فذهب البعض إلى أنه كتب أولا بالعبرانية أو الآرامية التي كانت لغة فلسطين في تلك الأيام، وذهب آخرون إلى أنه كتب باليونانية كما هو الآن.

أما الرأي الأول فاستند إلى شهادة الكنيسة القديمة بأنه ترجم إلى اليونانية وآباء الكنيسة يشهدوا بهذه الترجمة، فإذا سلمنا بهذا الرأي التزمنا أن نسلم بأن متى نفسه ترجم إنجيله أو أمر بترجمته[1]، فإنهم لا يستطيعون الجزم والقطع بتاريخ التدوين.

1- قاموس الكتاب المقدس، مرجع سابق، ص751.

2- إنجيل مرقص:

نسبة إلى مرقص أحد أتباع المسيح لم يكن من الحواريين، ويقال أنه كان تلميذا للحواري بطرس وهو يهودي الأصل ولد في القدس ويذكر أنه كان أحد السبعين الذين أرسلهم عيسى للتبشير بالنصرانية ويقال أن بيته كان مركزا لاجتماع تلاميذ المسيح أثناء حياته وبعد صعوده.

يتسع ميدان الخلاف عند الحديث عن تاريخ تدوينه وترجمته فمنهم من يقول أنه ألف في زمن بطرس وبولس ،ومنهم من يقول أنه ألف بعد موتهما وقيل أنه كتب بين 63م و68م .

3- إنجيل لوقا:

نسبة إلى لوقا وهو أحد أتباع المسيح ورافق بولس في رحلاته التبشيرية ،كما اختلف في تدوينه أيضا فمنهم من يقول أنه ألف ما بين 80م-90م ،ومنهم من يقول أنه ألف في 60م ،وقيل مابين 63م و64م وقد كتب باللغة اليونانية.

4- إنجيل يوحنا:

نسبة إلى يوحنا أحد الحواريين.اتبع المسيح منذ البداية، بشر في أفسس غرب تركيا، يقال ألف إنجيله هناك. ويعتبر هذا الإنجيل من أخطر الأناجيل لأنه الإنجيل الذي تضمنت فقراته ذكرا صريحا لألوهية المسيح، وقد اختلف في تاريخ تدوينه إلى أقوال فالدكتور بوست يرجح أنه كتب

سنة95م – 98م، ويقول هورن أنه دُون سنة 68م أو 70م أو 98م،أما لغة تدوينه فقد اتفقواعلى أنه كتب باليونانية.[1]

ثانيا: أعمال الرسل

يعد هذا السفر تكملة للإنجيل وهو سفر واحد يخبر عن إنشاء الكنيسة في أورشليم، ونزول روح القدس على التلاميذ، ويروي كيف نشر التلاميذ الأوائل بشارة يسوع المسيح في أورشليم واليهودية كلها والسامرة.

وضعه لوقا في 85م وقيل 63م، ورسم فيه حياة الجماعة المسيحية الأولى وكتب سفر أعمال الرسل باللغة اليونانية.

الغرض من كتابته:

- أن يوضح أن كلمات المسيح المقام قد تحققت.
- أن يحبب المسيحية في نظر الرؤساء الرومان.
- إظهار أن المسيحية دين عالمي لكل الناس من كل البلدان والأجناس.

ولقد كتب لوقا سفر أعمال الرسل إلى شخص يدعى ثاوفيلس.[2]

1- العهد الجديد، مرجع سابق، ص7-11.

2- وليم باركلي، تفسير العهد الجديد، ترجمة جوزيف صابر، دار الثقافة، القاهرة، 1324، ص13.

ثالثا: الأسفار التعليمية

سميت بالأسفار التعليمية لأنها تشرح وتوضح و تبين وتفسر حياة السيد المسيح و حكايات أحواله ومواعظه .

تعريف الرسالة:

الرسالة هي خطاب مكتوب فهي تضم كل أشكال المراسلات المكتوبة الشخصية والرسمية وهو أمر شائع منذ العصور وبإطلاق كلمة رسالة على الواحد والعشرين خطابا التي تشكل نصف العهد الجديد تقريبا أصبح للكلمة معنى فني محدد

لقد كتب بولس 14رسالة منها كما كتب يوحنا ثلاثة منها وكتب بطرس رسالتان وكل من يعقوب ويهوذا رسالة واحدة، وتنقسم الرسائل إلى رسائل بولس و الرسائل الجامعة العامة وتعتبر هذه الرسائل بصفة خاصة إنتاج حياة روحية جديدة وعصر روحي جديد فهي تتناول الحق في صورة واقعية محددة.[1]

1- رسائل بولس:

أول رسالة لبولس كانت إلى أهل رومية والتي دونت بتاريخ 56م أو57م

كتب رسالتان إلى تسالونيكي بتاريخ 54م

رسالتان إلى كورنثوس 55م

رسالة إلى فيليبي و رسالة إلى أفسس و رسالة لكولوسي والتي دونت بتاريخ 61م 63م

رسالتان إلى تيموثاوس

1- دائرة المعارف الكتابية، ص97.

رسالة إلى أهل غلاطية

رسالة إلى تيطس

رسالة إلى فيليمون

وأخيرا رسالة إلى العبرانين[1]

2 – الرسائل العامة :

ثلاث رسائل من كتابة يوحنا

رسالتان من بطرس

رسالة من يعقوب

رسالة من يهوذا [2]

رابعا: رؤيا يوحنا اللاهوتي

تسمى رؤيا لأنها أشبه بالأحلام ولكن يوحنا رآها في اليقظة.

يتضح لنا من هذا السفر أن كاتبه هو يوحنا و بالرغم مما زعمه بعض الكتاب الأوائل ليس هو يوحنا الإنجيلي إلى أن الكنيسة تكاد تجمع بأنه هو مستندة في هذا إلى أدلة داخلية و خارجية لا سيما إلى شهادات "يوستنيوس الشهيد" و "بيباس" الذين عاشا في القرن الثاني و "إيرينيوس"

1- أحمد شلبي، المسيحية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص205.

2- المرجع نفسه، ص206.

و"أكليمندس و أوريجانوس"، وقد كتب هذا السفر في جزيرة باطنس إحدى جزر بحر اليونان وكان ذلك نحو سنة 95م قرب نهاية حكم دوميتيانس الذي نفى عدد من المسيحين إلى أقاليم بعيدة.[1]

تدوين العهد الجديد

لا يختلف العهد الجديد عن العهد القديم في كون المؤلفين مجهولين، و الخلط في نسبة الأسفار إلى مؤلفين مختلفين.

يشهد القرآن الكريم على أن عيسى كان نبيا أنزل إليه كتابا لكن روايات المسيحيين أنفسهم لا تشير إلى وجود أي كتاب مستقل لعيسى أو حواريه، بل إن الباحثين المسيحيين يقولون:" النصوص اليهودية عينها... صارت نصوص الكتاب المقدس للكنيسة الأولى."

معظم أتباع المسيح ظلوا ينتظرون مجيء المسيح مرة ثانية من السماء وبالتالي لم يجدوا ضرورة ماسة إلى تدوين حياته، ولكن عندما انقطع الأمل في مجيئه ثانية وبدأت الذكريات تتضاءل أخذ الناس يدونون مجموعات لأقوال المسيح وسموها الأقوال أو السجلات. ثم يليها دور مؤلفي الأناجيل الذين اعتمدوا على الروايات الشفهية، فألف كل منهم إنجيله وفق أسلوبه وميوله الشخصي، وكان إنجيل مرقص هو أسبق الأناجيل الأربعة ظهورا حسب معظم الدارسين وإن كانت رسائل بولس قد كتبت قبله.

وقد أنكرت مجموعة من الباحثين الدارسين وجود أي مصدر مكتوب للأناجيل وتتلخص ثمرة دراساتهم في أن ما شاع بين المسيحيين قبل تأليف الأناجيل وتدوينها اتخذ شكلين:[2]

1- قاموس الكتاب المقدس، مرجع سابق، ص271.

2- ساجد مير، المسيحية (النصرانية) دراسة وتحليل، دار السلام، الرياض، ص192-193.

أولهما الأقوال وثانيهما الحكايات وكانت تتداول شفاهة. والحكايات كانت مجموعة لقصص ميلاد المسيح ومعجزاته وموته المزعوم وكانت تشبه ملاحم أبطال الإغريق، والأقوال كانت مجموعة ما تكلم به المسيح ولم تكن خالية من الزيادة أو النقص.

مؤلفـــوه

هم أيضا مثل مؤلفي المصادر الأصلية مجهولون تماما.لا تشير الأناجيل نفسها إلى مؤلفيها، وأما العناوين الموجودة عليها (إنجيل متى ومرقص وغيرهما) فهي لم تطلق عليها قبل مضي جيلين من تأليفها، وذلك حينما جمعت في كتاب واحد وكانت هناك حاجة إلى التمييز بينها.

الأناجيل وكتاب الأعمال نشرت مجهولة (أي بدون أسماء المؤلفين) والعناوين الموجودة عليها الآن جاءت في القرن الثاني. رغم أن الأناجيل تحمل أسماء محددة لكنها ليست أسماء مؤلفيها الحقيقيين، فإنجيل متى مثلا ليس من تأليف متى الحواري.[1]

1- المرجع نفسه، ص195.

المحاضرة التاسعة

عقائد المسسيحية

أولا: التثليث ومضمونه :

يكمن التثليث عند النصرانية في فكرة التثليث في التوحيد و التوحيد في التثليث وقد ركز عليها وأطالوا في شرحها و تبريرها وذلك بحميل اللفظ ما لا يحتمل على الرغم مما هو موجود في الأناجيل من نصوص تدل على وحدانية الله وحدانية مطلقة لا تقبل تأويلا، فالوحدانية عندهم هي التي تحتوي على ثالوث مقدس يضم الأب والابن والروح القدس، وهذه هي الوحدانية الجامعة لديهم .

فقد جاء في دائرة المعارف البريطانية أن " يمكن التعبير عن عقيدة التثليث المسيحية تعبيرا صحيحا بالكلمات الآتية إن الأب اله ، و الابن إله ، والروح القدس إله غير أن هؤلاء الثلاثة بالمجموع ليسوا ثلاثة آلهة ، وإنما هم إله واحد [1]

ولنترك المجال فسيح للنصارى حتى يعبروا عن النصرانية في أناجيلهم وعن معتقداتهم فيها

– يقول القس بولس سوباط شارحا هذه العقيدة: "يرى النصارى أن الباري تعالى جوهر واحد موصوف بصفات الكمال، وله ثلاث خواص ذاتية كشف المسيح عنها القناع وهي الأب والابن والروح القدس ويشيرون بالجوهر الذي يسمونه الباري ذا العقل المجرد إلى الأب وبالجوهر نفسه الذي يسمونه ذا العقل ذاته إلى الابن وبالجوهر عينه الذي يسمونه ذا العقل المعقول من ذاته إلى الروح القدس ويريدون بالجوهر ما أقام بنفسه مستغنيا عن الظروف.[2]

1- مُحَمَّد تقي العثماني، ماهي النصرانية. مكتبة دار العلوم كراتشي . ص37

2- المسيحية، أحمد شلبي. ط 8، دار النهضة العربية سنة 1974 . ص 14

- ويقول القس بولس إلياس مبرر عقيدة الثالوث في عقيدة كتابه ياسوع المسيح :" من الناس من يقولون لما يا ترى اله واحد في ثلاثة أقانيم ؟ أوليس في تعدد الأقانيم انتقاص لقدرة الله أو ليس من الأفضل أن يقال الله واحد وحسب ؟ ويتولى هو الإجابة بنفسه عن كل هذا كل هذه الاسئلة فيقول: لكننا إذا إطلعنا على كنه الله لا يسعنا إلا القول بالتثليث وكنه الله محبة ولا يمكن إلا أن يكون محبة ليكون سعيدا فالمحبة هي مصدر سعادة الله والمحبة تفترض شخصين على الأقل متحابان وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهم،بحيث يندفع الحب لهبة الذات لمن يحب هبة تكون فيها سعادتها وليكون الله سعيدا كان عليه أن يهب ذاته شخص آخر يجد فيه سعادته،ومنتهى رغباته ويكون بالتالي صورة ناطقة له ولهذا ولد الله الابن منذ الأزل ووهبه ذاته ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته،وثمرة المحبة المتبادلة بين الله والابن كانت روح القدس.[1]

- وجاء في دائرة المعارف البريطانية يمكن التعبير عن عقيدة التثليث المسيحية تعبيرا صحيحا بالكلمات التالية أن الأب اله والابن اله وروح القدس اله، غير أن هؤلاء الثلاثة بالمجموع ليسوا ثلاثة آلهة وإنما هم اله واحد ذلك انه بينما نضطر طبقا للعقيدة المسيحية ان نعتبر كلا من هذه الأقانيم الثلاثة إلها ومولى إذ المذهب الكاثوليكي ينهانا أن نعتبر ثلاثة آلهة ثلاثة موالي.[2]

- يقول الدكتور يوسف بوست شارحا هذه العقيدة طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية الله الأب الله الإبن الله روح القدس فإلى الأب ينتهي الخلق بواسطة الابن والى الابن الفداء والى روح القدس التطهير غير ان الثلاثة أقانيم تتقاسم جميع الأعمال الآلهة على السواء.[3]

- ويقول زكي شنودة وقد عرف المسيحيون من السيد المسيح ان الله واحد في ثلاثة أقانيم هم الأب والابن والروح القدس وان الله واحد في ثلاثة أقانيم هم الأب والابن وروح القدس وان

1- مجدي مرجان الله واحد أم ثالوث؟ مرجع سابق، ص 17 .

2- ماهي النصرانية؟ مُحَمَّد تقي الدين العثماني. مرجع سابق ص 37 .

3- قاموس الكتاب المقدس. ص 231 .

هذه الأقانيم الإلهية هي طبيعة واحدة وذات وجوهر واحد بسيط منزه عن التأليف والتركيب وهذه حقيقة تفوق الإدراك البشري ..... وقد فهمنا من كلام السيد المسيح أن الأقانيم الثلاثة الذين في الله وان اتحدوا جوهرا وطبعا وذاتا، وصاروا واحدا إلا أنهم ثلاثة لا واحدا من حيث الأقنومية، فالأب ليس هو الابن والروح القدس ليس هو الأب ولا الابن.[1]

وهذا هو مضمون عقيدة التثليث من خلال أقوالهم التي إن دلت على شيء فإنما تدل على مدى اتفاقهم في هذه العقيدة، وإن كانوا يحاولون الظهور بمظهر من يجمع بين التوحيد والتثليث ولكن عند محاولاتهم تستغلق فكرة التثليث وتصير بعيدة عن التصور كما أنها في ذاتها مستحيلة التصديق.

يقول القس توفيق جيد أن الدخول إلى المسيحية لا يتم إلا بالإيمان بسر الأزل سر الثالوث الأقدس أن كلمة السر التي يقبل بها في ملكوت السماوات في سر الأزل سر الثالوث الأقدس.[2]

ومنه فالتثليث أهم العقائد النصرانية التي لا يستطيعون إنكاره لأن إنكاره وانتفاءه.

ثانيا: الصلب والفداء

1- الصلب:

الصلب هو التعليق على خشبة الصليب.

واليهود والنصارى يعتقدون أن المسيح عليه السلام مات مصلوباً.

ويزعم اليهود أن المسيح كفر بالله؛ لهذا حملوا عليه وطالبوا بدمه، وزعموا أنه مات مصلوباً.

والموت على الصليب يستلزم اللعنة عندهم، فقد ورد في سفر التثنية[3]: (وإذا كان على إنسان خطيئة حقها

1- زكي شنودة، تاريخ الاقباط 276/1+ط1 1963 م .

2- سر الأزل ص 50 نقلا عن الله واحد ام ثالوث ص25 .

3-التثنية:21: 22

الموت فقتل وعلقته على خشبة، فلا تبت جثته على الخشبة، بل تدفنها في ذلك اليوم؛ لأن المعلق ملعون من الله).

أما النصارى فهم يعتقدون كذلك أن المسيح مات مصلوبا، إلا أنهم يعللون ذلك بأنه صلب فداء للبشر؛ لتخليصهم من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام، وهي أكله من الشجرة التي نهي عنها، فانتقلت تلك الخطيئة إلى أبنائه، وأغضبت الله عليهم أيضاً، فكان لابد من وسيط يتحمل هذا الإثم، ويرضى بأن يموت على الصليب، وهذا الوسيط المخلص في زعمهم لابد أن يكون ذا وضع متميز خال من الإثم والخطأ، ولا يكون هذا إلا ابن الله – الذي هو الله في زعمهم- ثم لابد أن يكتسب الخطيئة عن طريق الجسد، فهذا ما جعله يتجسد في صورة عيسى، ويخرج من بطن مريم ثم يموت على الصليب فداء للبشر، فيرضى الله بذلك عن بني آدم، وترتفع عنهم تلك الخطيئة؛ لأنهم يزعمون أن الله جلَّ وعلا منذ وقع آدم في الخطيئة، وهو غضبان على بني آدم بسبب الخطيئة، ولابد بناء على عدله أن يعذبهم، وهو بناء على رحمته يحب أن يرحمهم، فأنزل ابنه ليكون الوسيط والفداء الذي يقع عليه العدل، فيعذب على الصليب حتى الموت، فيكون موته فداء لبني آدم، فيمكن بعد ذلك رحمة بني آدم؛ لأن العقاب قد حلَّ بالوسيط المخلص، فكان بهذا المسيح هو الذي جمع بين عدل الله ورحمته، وفتح باب رحمة الله لخلقه مرة أخرى.

فتبين أن هنا أمران وهما: الصلب، والفداء فنبين ما يتعلق بكل واحد منهما:

الصلب:

قصة الصلب إجمالا كما وردت في الأناجيل:

يعتقد النصارى كما سبق بيانه أن المسيح مات مصلوباً. وقصة الصلب كما وردت في الأناجيل باختصار هي: أن المسيح عليه السلام طلبه اليهود ليقتلوه؛ لأنه في زعمهم كفر بالله، فدلَّهم على مكانه أحد أتباعه- وهو يهوذا الإسخريوطي- بعد أن أغروه بالمال، فقبضوا عليه ليلة الجمعة بعد أن كان قد فرغ من صلاة طويلة تضرع وتوسل فيها إلى الله عزَّ وجلَّ أن لا يذيقه هذه الكأس، ثم ساقوه إلى دار رئيس كهنة اليهود الذي تحقق من أنه مستحق للقتل، ثم حمل إلى دار الوالي الروماني الذي حكم عليه بالصلب بناء على رغبة اليهود، فصلب الساعة الثالثة صباحاً من يوم الجمعة ومات على الصليب الساعة التاسعة مساء، أي: وقت العصر، بعد أن صاح: (إلهي إلهي لماذا تركتني).

ثم أُنزِل من الصليب في تلك الليلة، وأُدخِل قبرا بقي فيه تلك الليلة، ثم نهار السبت، ثم ليلة الأحد،

ولما جاؤوا إليه صباح الأحد وجدوا القبر خاليا، وقيل لهم: إنه قام من قبره ثم إنه ظهر لهم في الجليل وكلمهم، وبقي معهم أربعين يوماً، ثم ارتفع إلى السماء وهم ينظرون إليه، هذا ما ورد في الأناجيل عن قصة الصلب إجمالاً.

- اختلاف المعلومات الواردة في الأناجيل عن الصلب:

إذا نظرنا إلى قصة الصلب في الأناجيل نجدها مختلفة في أكثر نقاطها، وإليك بيان الاختلافات الموجودة في رواية هذه القصة:

1- ذكر لوقا: أن ملكاً من الملائكة تراءى للمسيح يقوي عزيمته في آخر صلاة صلاها. ولم يذكر ذلك الآخرون، ذكر لوقا: أن المسيح صلى مرة واحدة، ولم يوقظ تلاميذه إلا مرة واحدة، أما متَّى ومرقص، فذكرا أن ذلك تكرر ثلاث مرات، ويوحنا لم يذكر من ذلك شيئاً.

2 -أن الأناجيل الثلاثة متَّى ومرقص ولوقا ورد فيها: أن العلامة بين يهوذا الذي دلَّ اليهود على مكان المسيح، واليهود الذين جاؤوا للقبض على المسيح هي أن من يقبله فهو المسيح، ويوحنا ذكر أن المسيح خرج إليهم وسألهم عمن يطلبون، فقالوا: يسوع. فقال لهم: أنا هو.

3- أن يوحنا ذكر: أن اليهود لما قبضوا على المسيح ساقوه إلى حنان الذي كان حماً لرئيس الكهنة قيافا، أما الأناجيل الأخرى فلم تذكر ذلك، بل ذكرت أنهم ذهبوا به مباشرة إلى قيافا رئيس كهنة اليهود.

4- ذكر يوحنا: أن بطرس وتلميذاً آخر تبعا المسيح إلى رئيس الكهنة بعد أن قبض عليه، أما الآخرون فلم يذكروا سوى بطرس الذي خرج بعد ذلك، ولم يشاهد المحاكمة.

5- سؤال رئيس الكهنة للمسيح وقت المحاكمة حسب مرقص: (أأنت المسيح ابن المبارك ؟ فقال يسوع: أنا هو، وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء.(وفي متَّى: (أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله ؟ قال له يسوع: أنت قلت. وأيضا أقول لكم:من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء)

وفي لوقا أن الجماعة سألوه: (إن كنت أنت المسيح فقل لنا، فقال لهم: إن قلت لكم لا تؤمنون، وإن سألتكم لا تجيبوني ولا تطلقوني. ولكن من الآن يكون ابن البشر جالسا عن يمين قدرة الله. فقال الجميع: أفأنت ابن الله ؟ فقال لهم: أنتم تقولون: إني أنا هو).

وفي يوحنا أن رئيس الكهنة سأل المسيح عن تلاميذه وعن تعليمه، فأجابه، وليس في شيء منها قوله السابق عن نفسه.

6- الأناجيل الثلاثة ذكرت أن الصليب الذي صلب عليه المسيح سخر له رجل اسمه (سمعان القيرواني) لحمله، أما أنجيل يوحنا فيذكر أن المسيح هو الذي حمل صليبه.

7- ذكر لوقا: أن المسيح التفت إلى الجموع وهو في طريقه إلى الصليب، وحذَّرهم مما سيقع لهم في الأيام القريبة من الأمور الخطيرة العظيمة. ولم يذكر ذلك أي من الأناجيل الأخرى.

8- إن علة صلب المسيح حسب لوقا مكتوبة على الصليب هكذا (هذا هو ملك اليهود) باليونانية واللاتينية، والعبرانية.وفي مرقص (ملك اليهود) ولم يذكر اللغات التي كتب بها. وفي متَّى (هذا هو يسوع ملك اليهود) ولم يذكر اللغات.وفي يوحنا (يسوع النصارى ملك اليهود) باليونانية واللاتينية والعبرانية.

9- في متَّى ومرقص: أن المسيح صرخ في الساعة التاسعة وقال: (ألوى ألوى لما شبقتني. الذي تفسيره(إلهي إلهي لماذا تركتني ؟)، وفي لوقا قال: (ونادى يسوع بصوت عظيم قائلا: يا أبت في يديك أستودع روحي)، وفي يوحنا أنه لم يصرخ وإنما قال: (قد أكمل، ونكس رأسه، وأسلم الروح).

10- الاختلاف في الأحداث بعد الصلب حيث قال متَّى: (انشق حجاب الهيكل، والأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبر بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين)، وفي مرقص (انشق حجاب الهيكل إلى اثنين)، وفي لوقا (أظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل).ويوحنا لم يذكر من ذلك شيئا.

11- الاختلاف في عدد ووقت الذين جاؤوا صباح الأحد لمشاهدة القبر الذي فيه المسيح ووجدوه خاليا – وقد سبق ذكر ذلك.

فهذه الاختلافات العديدة بينهم في رواية أعظم حادث في حياة المسيح- حسب معتقد النصارى- وهو: الصلب، إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على أنه ليس لديهم علم مؤكد ومحقق في هذا الأمر، وأن ذلك كله من باب الظن والخرص الذي لا يغني من الحق شيئا، ولو كان عندهم فيه شيء مدون، أو رواة ثقات عاينوا وشاهدوا الأحداث لما اختلفوا فيه. وإن من دلالة صدق الرواة لحدث من الحوادث اتفاقهم على رواية الخبر وتفاصيل وقائعه، وإن من دلالة كذب الرواة أو عدم علمهم به اختلافهم في رواية الخبر وتباين كلامهم عنه. وهذا حقيقة حال النصارى في هذا الحادث الذي قامت النصرانية المحرفة كلها عليه، كما سبق بيانه، فإنهم ليس عندهم علم به مؤكد، إن يظنون إلا ظنا. وانظر واستمع إلى دقة كلام الله عزَّ وجلَّ في تعبيره عن الواقعة وعن رواتها حيث قال عزَّ وجلَّ :**{وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}**[1].

ب- الفداء:

هو اعتقاد النصارى أن موت المسيح كان كفارة لخطيئة آدم التي انتقلت إلى أبنائه بالوراثة.

أ- أدلة النصارى على الفداء:

يزعم النصارى أن مستندهم في ذلك الكتاب المقدس، ونورد فيما يلي بعض النصوص التي يستدل بها النصارى لهذه العقيدة منها:

1- أنا هو الراعي الصالح، الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف)[2].

1- سورة النساء:157- 158

2- يوحنا، 10: 11

2- لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية)[1] .

3- إن ابن الإنسان لم يأت ليُخْدَمَ بل ليَخْدِم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين).[2]

ومما ورد في كلام النصارى في العهد الجديد:

4- قال بولس في رسالته لكورنثوس (3/15/1): (مات من أجل خطايانا حسب الكتب.(

وأيضاً في كورنثوس (21/5): (إن الله جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا؛ لنصير نحن برَّ الله فيه).

وقال في رسالته لأهل أفسس (16/2): (أسلم نفسه لأجلنا قربانا وذبيحة لله رائحة طيبة.(

إن المراد من كون المسيح كفارة للخطايا أحد أمرين:

- أحدهما: تكفير خطايا الناس التي اقترفوها في الماضي، أو التي سيقترفونها في المستقبل، وكلاهما باطل.

أما الخطايا الماضية فلا تستحق هذا الفداء الإلهي في زعمهم، وقد كان يتم تكفيرها بالتوبة والقربان لدى اليهود قبلهم وكان كافيا.

أما الخطايا المستقبلة فلا يستطيع النصارى أن يزعموا أن صلب المسيح مكفر لها؛ لأن ذلك يعني إباحتها، وعدم ترتب العقوبة على ذنب من الذنوب مهما عظم، وفي هذا إبطال لدعوة المسيح ودعوة الحواريين وبولس إلى تنقية النفس من الآثام والخطايا، وفتح للإباحية والفجور والكفر. مع العلم أن تكفير الخطايا إذا أطلق لا يراد به سوى ما وقع فيه الإنسان من الآثام، وهي الخطايا الماضية؛ إذ التكفير من كفر، أي: ستر وغطَّى، ولا يكون ذلك إلا فيما وقع وحدث.

- ثانيهما: ما ذكره كثير من النصارى- وهو تكفير خطيئة آدم عليه السلام التي انتقلت إلى أبنائه- هو ادعاء باطل كما سبق بيانه، وسيأتي زيادة لبيان أوجه البطلان أيضا.

1- يوحنا، 3: 16

2- مرقص، 10: 45

وحقيقة قولهم في الفداء هو: أنهم اخترعوا هذه الفرية، وادَّعوها بدون دليل من شرع أو عقل حتى يبرروا قضية الصلب التي اعتقدوها وآمنوا بها، ويرفعوا عن المسيح تلك السبة الشنيعة التي تلحقه بالصلب وهي اللعن، فادَّعوا أن الصلب هو الشرف الحقيقي، وهو الهدف الأسمى من رسالة المسيح، وأنه لولا الصلب ما جاء المسيح، فأخذوا يدندنون حول هذا الأمر، ويبحثون له عن الأوجه التي تجعله في حيز المقبول والمعقول.